غريزة

نزلت بجديلتيها الصغيرتين، كانت تتهادى على درجات السلم كأنّها تطير، مشت بصدارتها التي تحاكي لون السماء، تحمل على ظهرها حقيبة حمراء بلون الوجنتين، عيناها تنقطان العسل والبراءة، أمها ترقبها من على الشرفة عالياً، وقفت بجانب (عمو أبو علي) بائع الخضار تنتظر حافلة رياضها، كان (أبو علي) منهمكاً بترتيب خضراواته وتنميقها وكأنها قطع فنية، يسكب عليها كل حبه وحنانه فيجعلها تأتلق تحت وهج الشمس الربيعية، عيناها تتنقلان ما بين الرائح والغادي، الكل يلقي صباحه على أبي علي، وأبو علي يردّ الصباحات من داخل دكانه بكل جهورية ونشاط، يهاتف (رغد) الجميلة.. يؤنس انتظارها ببعض الأسئلة الطفولية، لقد اعتاد على وجودها أمام دكانه، مع أنه كبر في العمر وانشغل عن الأطفال وعالمهم، لكن هذه الصغيرة الوديعة ناغت قلبه وجعلته ينزّ الحب نزّاً.

دخل رجلان من أبناء الحي ليبتاعا مجموعة من خضراوات أبي علي الطازجة، وانهمك الجميع في أحاديثهم عن الحي ورجاله، تقدّم طفلان أمام

(رغد).. وراحا يتأمّلانها.. وهي تتأملهما بخفر، أحدهما أطول منها قليلاً، هذا يعني أنه أكبر منها، والآخر أصغر منها لأنه أقصر قامة..

نسي الكبير أنه جاء ليشتري الخضار لأمه، فوداعة هذه الأميرة قادرة على أن تنسيه أشياء كثيرة، لكن ما تذكّره أنه ولد قوي وشجاع، وهو يريد أن يظهر لها ذلك.. ما الحل..؟.. هاهو أخوه الصغير.. ليستعرض به عضلاته أمامها.

راح يحمل أخاه بالطول تارة وبالعرض أخرى، يدور به مرة، وينكبّ عليه أخرى، والصغير في ضحك متصاعد، امتلأ قلبه نشوة وسعادة، فقد استأثر باهتمامها، ولم تعد تحيد طرفها عنه، يبدو أنه فعلاً ولد جذّاب، دبّت فيه الحماسة،.. نظرات هذه الأميرة حرّكت كل ذرة في جسده، راح يزيد من حركاته البهلوانية وأخوه ما بين الضاحك للعبه والباكي من سماجته..!

كانت رغد مشدوهة به، وكأنها ترى مهرّجاً مسرحياً، تصرّفاته غريبة..

وصلت الحافلة ووقفت أمام رغد، أدارت ظهرها للمهرج وهرولت إليها سريعاً، في معمعة حركاته البهلوانية وقف جامداً، ترك أخاه ملقى على الأرض يستعيد أنفاسه، راح يتأمّلها وهي تصعد إلى الحافلة، عيناه لا تنزاحان عن الأميرة الجميلة، مشت الحافلة وقد أخذت معها قلبه..!!